

الدرس الحادي عشر :

البدعة

روى الشيخان ، عن الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ » ، وفي بعض ألفاظ الحديث : « مَنْ أحدث في ديننا ما ليس منه فهو ردٌّ »^(١) ، وفي رواية للإمام مسلم : « مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرنا ، فهو ردٌّ »^(٢) . أي : مردودٌ على صاحبه غير مقبول .

منزلة الحديث^(٣) :

هذا الحديث القصير ، بألفاظه القليلة الموجزة ، أحد الأحاديث الجامعة التي يدور عليها شرع الإسلام ، ولهذا عدّه الإمام أحمد أحد الأحاديث الثلاثة التي ذكرناها من قبل^(٤) ، فهو مُتمِّمٌ لحديث : « إنما الأعمال بالنيات » ، ولهذا قال علماؤنا : إن حديث عمر : « الأعمال بالنيات » ، ميزان للأعمال في باطنها ، وحديث عائشة هذا : « مَنْ أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ » ، ميزان للأعمال في ظاهرها .

شرطاً لقبول العمل :

لا بد أن يتوفر للعمل الصالح المقبول ، الظاهر والباطن معاً : لا بد أن تتحقق النية الحسنة ، والصورة المشروعة . فإذا توافر حسن النية ، وكانت صورة العمل غير مشروعة ، فإن الله يرفض هذه النية ، ولا يقبلها ، ولا تشفع أبداً لصاحبها .

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧) ، ومسلم في الأفضية (١٧١٨) ، كما رواه أحمد (٢٦٠٣٣) ، وأبو داود في السنة (٤٦٠٦) ، وابن ماجه في المقدمة ، عن عائشة .

(٢) رواه مسلم في الأفضية (١٧١٨) ، وأحمد (٢٥١٧١) ، والدارقطني في السنن كتاب عمر إلى أبي موسى (٢٢٧/٤) ، عن عائشة .

(٣) راجع ما ذكره ابن رجب الحنبلي في كتابه جامع العلوم والحكم (١٨٣/١) .

(٤) انظر : فيض القدير (٣٠/١) .

مَنْ أَكَلَ الرِّبَا ، ثُمَّ بَنَى مِنْ هَذَا الرِّبَا مَسْجِدًا ، لِيُصَلِّيَ فِيهِ النَّاسُ ، وَيَقِيمُوا شَعَائِرَ اللَّهِ ، فَهَلْ تَنْفَعُهُ هَذِهِ النِّيَّةُ ؟ لَا ! إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، إِنْ عَمَلَهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الرِّبَا عَمَلٌ لَيْسَ عَلَى أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، نَقُولُ لَهُ : إِنَّكَ أَحْدَثْتَ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ اللَّهُ ، وَمَا لَمْ يَرْضَهُ اللَّهُ ، فَعَمَلُكَ مَرْدُودٌ عَلَيْكَ .

لَا بَدَّ لِقَبُولِ الْعَمَلِ ، مَنْ أَنْ يَكُونَ فِي صُورَةٍ يَشْرَعُهَا الدِّينُ وَيَرْضَاهَا ، كَمَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ وَرَاءَهُ نِيَّةٌ خَالِصَةٌ . وَلِهَذَا قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (هُود: ٧) ، قَالَ : أَحْسَنُ الْعَمَلِ أَخْلَصُهُ وَأَصُوبُهُ ، وَلَا يَقْبَلُ الْعَمَلُ إِلَّا إِذَا كَانَ خَالِصًا صَوَابًا ، فَمَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا ، لَمْ يَقْبَلْ ، وَمَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا ، لَمْ يَقْبَلْ ، وَخُلُوصُ الْعَمَلِ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ ، وَصَوَابُ الْعَمَلِ أَنْ يَكُونَ عَلَى السَّنَةِ ^(١) . أَيُّ عَلَى هَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَشَرْعِهِ .

وَمِنْ هُنَا جَاءَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ ، وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ ، وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ وَلَا نِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السَّنَةِ ^(٢) .

التشريع من خصائص الربوبية :

لَا بَدَّ أَنْ يُوَافِقَ الْإِنْسَانُ شَرْعَ اللَّهِ ، وَسُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لَيْسَ النَّاسُ أَحْرَارًا فِي أَنْ يَشْرَعُوا مَا يُرِيدُونَ ، وَأَنْ يُلْتَزِمُوا مَا يُرِيدُونَ ، فَإِنَّهُمْ مَقِيدُونَ بِحُدُودِ اللَّهِ ، وَبِشَرْعِ اللَّهِ : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (الشورى: ٢١) .

الْأَصْلُ أَنْ يَتَّقِدَ الْإِنْسَانُ فِي شَرَائِعِهِ كُلِّهَا بِمَا حَدَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ نَقَصَ تَبَعًا لِهَوَاهُ ، أَوْ وَفَّقًا لِمَزَاجِهِ ، أَوْ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ بِعَقْلِهِ هُوَ ، أَوْ بِعَقْلِ زَيْدٍ وَعَمَرٍ مِنَ الْبَشَرِ ، فَإِنْ عَمَلَهُ هَذَا كُلُّهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ .

(١) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ (٩٥/٨) ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْإِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ (٢٢) .
(٢) رَوَاهُ الْآجُرِّي فِي الشَّرِيعَةِ ص ١٢٥ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ رَجَبٍ فِي جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ وَضَعَفَ إِسْنَادَهُ ص ١٣ .

إن النبي ﷺ وضع لنا بهذا الحديث الجامع من جوامع الكلم ، هذا الميزان : ألاَّ
نقبل عملاً إلا إذا كان على شرع الله .

ليس للناس أن يتبدعوا وأن يحدثوا في دين الله ما لم يُرده الله ، ولم يأمر به ،
فإن « كل مُحَدِّثَة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار »^(١).

أثر الابتداع في الأديان السابقة :

لقد فسدت الأديان السابقة قبل الإسلام بهذه المُحَدِّثَات ، وبهذه المُبتدعات ،
حيث أحلُّوا ما حرَّم الله ، وحرَّموا ما أحلَّ الله ، وزادوا عما شرع الله ، ونقصوا مما
فرض الله ، فأصبحت عباداتهم وفرائضهم وشرائعهم شيئاً آخر ، مغاير لحقيقة
التكليف أو الدين الذي أمر الله به .

صنع النصارى ذلك في عباداتهم ، فغيَّروا في الصلاة ، وغيَّروا في الصيام ، نقلوا
الصيام من أيام إلى أيام ، حتى لا تكون في أيام الحرِّ ، فنقلوها إلى أيام أخرى ،
وزادوا في عدد الأيام حتى صار صوماً غير الصوم الأول ، وهكذا في الأطعمة ، بعد
أن كان لحم الخنزير مُحَرَّمًا عليهم ، كما في التوراة ، أحلَّ لهم بولس مُعَظَم
الأطعمة ، بل كل الأطعمة ، ويروون عن المسيح أنه قال لهم : (ما حللتُم في
الأرض فهو محلول في السماء ، وما عقدتم في الأرض فهو معقود في السماء) .

الدين كمل وليس لأحد أن يزيد فيه :

أما النبي ﷺ فلم يُبَحِّح لعلماء أُمته أن يَحُلُّوا ويربطوا ، ويحرِّموا ويبيحوا ،
ويشرعوا ، ويزيدوا وينقصوا من عند أنفسهم .

فليس لعلماء المسلمين في الأرض ، في مشارقها ومغاربها ، وشمالها وجنوبها ،
ولو اجتمعوا على صعيد واحد ، في شكل مؤتمر أو مَجْمَع ، أو أي شيء من هذا :
أن يزيدوا في دين الله ، أو ينقصوا منه أبداً . . .

(١) رواه مسلم في الجمعة (٨٦٧) ، وأحمد (١٤٣٣٤) ، والنسائي في صلاة العيدين (١٥٧٨) ،
وابن ماجه في المقدمة (٤٥) ، عن جابر ، وفي النسائي وحده : « وكل ضلالة في النار » .

لا يمكن لأحد أبداً أن يزيد في هذا الإسلام أو ينقص منه ، بعد أن أتمَّ الله نعمته بإكماله ، وقد قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣)، وقال ﷺ : « قد تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك »^(١).

الهالك هو مَنْ زاغ عن هذه المحجة البيضاء ، التي صورها النبي ﷺ بأنها : « ليلها كنهارها » ، أي أنها مُشرقة مُنيرة ، مُستبينة ، واضحة ، دائماً أبداً .

ليس لأحد في الإسلام أن يزيد أو ينقص من شرائعه وفرائضه وعباداته ، كما فعل النصاري في دينهم فشوهوه وأصبحت العقيدة نفسها تتصور تبعاً لتصوُّر المجامع التي تُعقد والمجالس التي تُدعى ، فيُدعى مجمع ليجتمع ، ويُقرَّر أن المسيح إله ، وآخر يُقرَّر أن نصفه إله ونصفه إنسان ، وأنه ناسوت دخل اللاهوت ، ولاهوت امتزج بالناسوت ، إلى آخره^(٢) . . . ليس في الإسلام شيء من ذلك ، ولا يملك أحد أن يفعل هذا أبداً . . . ولو أن بعض المسلمين ابتدعوا في الدين ، فإن الراسخين في العلم يقفون لهم بالمرصاد ، ويردُّون عليهم بدعهم وضلالاتهم ، ويرمونها بأنها في النار وبئس القرار .

« مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ » .

حديث يدلُّ المسلمين على أن يقفوا عند حدود دينهم ، وعند حدود شرائعهم ، فليس من حقهم التشريع ، وليس من حقهم أن يبتكروا . . . إن التشريع المطلق من حق الله عز وجل . . . وهذا من تمام الوحدانية .

(١) رواه أحمد (١٧١٤٢) وقال مخرَّجوه : حديث صحيح بطرقه وشواهده ، وهذا إسناد حسن ، وابن ماجه في الإيمان (٤٣) ، والحاكم في العلم (٩٦/١) ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، والطبراني في الكبير (٢٤٧/١٨) ، عن العرياض بن سارية ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٦٩) .
(٢) دعي مجمع نيقية عام ٣٢٥م ، للاجتماع لإيجاد حل اكليريكي (كنسي) لمسألة ألوهية المسيح ، فقد كان بعض القساوسة منهم أريوس ومَنْ تبعه ، يرى أن المسيح ليس إلهاً ولا ابن إله ، وبعد ثلاثة شهور من البحث أكد المجمع ألوهية المسيح وتكفير أريوس ومن تبعه وطرده وحرَّق الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح .

من شرّع فقد تأله :

التشريع المطلق من حق الخالق الرازق ، المنعم المالك ، المُدبّر للأمر كله .
أما أن يدعي الناس أن لهم الحق في أن يشرّعوا ما شاء لهم الهوى ، وما شاء لهم عقلهم ، فإن الله لا يرضى بذلك أبدا .

دخل عدي بن حاتم وكان نصرانياً قد أسلم ، على النبي ﷺ ، وهو يقرأ سورة التوبة ، حتى وصل إلى قوله تعالى في أهل الكتاب : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ (التوبة: ٣١) .

فقال : يا رسول الله ، ما اتخذناهم أربابا ، وما كنا نعبدهم . فقال النبي ﷺ : « أما إنهم لم يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئا استحلّوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه »^(١) .

العبادة : أن يزعموا أنهم يملكون حق التشريع ، وحق التحليل والتحريم ، فتطيعونهم وتتبعونهم في كل ما يفعلون . . . ولو حرّموا الحلال ، وأحلّوا الحرام! هذه عبادة من دون الله ، هذا شرك الإنسان من عبادة الله وحده إلى عبادة غير الله . ولهذا ختمت الآية بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣١) .

الغلو في الدين مفسدة له :

إن الدين أن يقف الإنسان عند حدود ربه ، لا يتزمت ، ولا يُغالي ، ولا يُسرف ، فقد ضاع الدين بين الغالين المسرفين وبين المقصرين .

إن بعض الناس يغلو في دينهم ، كما غلا أهل الكتاب في دينهم ، فيتزمتون ، ويتنطعون ، ويزيدون في الفرائض ، ويزيدون في العبادات ، ما لم يفعله رسول الله ﷺ ، ولا أمر به الله عز وجل . . . فهذا العمل مردود عليهم ، وقد نهى

(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣٠٩٥) ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب وغطيف ليس بمعروف في الحديث ، والطبراني في الكبير (٩٢/١٧) ، والبيهقي في الكبرى كتاب آداب القاضي (١١٦/١٠) ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٧١) .

النبي ﷺ ، عن الغلو فقال : « إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو »^(١) ، وقال : « هلك المتنطعون - أي المتزيدون المتزمتون - هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون »^(٢) ، قالها ﷺ ثلاث مرات ، وكررها لأهميتها وعظم خطرها .

التنطع والغلو والتزيد في دين الله يفسد الدين على الناس^(٣) ، ولهذا حينما رأى النبي ﷺ نزعة من بعض أصحابه إلى الغلو وإلى التنطع قاومها بكل شدة ، رأى أفكاراً نصرانية تنبت في البيئة الإسلامية ، فطاردها وحاربها .

جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبي ﷺ ، يسألوهن عن عبادة النبي ، فأخبروا بها ، فكأنهم تقالؤها ، وقال بعضهم لبعض : ما لنا ولرسول الله ﷺ ؟ ! وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! فقال أحدهم : أما أنا فأقوم الليل ولا أنام . وقال الثاني : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال الثالث : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فبلغ النبي ﷺ ، مقاتلهم فجمعهم وقام خطيباً فيهم وقال : « أيها الناس ! إنما أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له ، ولكني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني »^(٤) .

الحنيفية السمحة :

فإن الله بعثه بالحنيفية السمحة ، بالدين الذي ختم به الأديان ، بالرسالة التي كملت الرسالات ، الرسالة العامة الخالدة ، الرسالة التي تبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فهي رسالة لكل الأعصار ، ولكل الأمصار ، ولكل الأجيال ، وللإنسانية في الشرق والغرب ، للعرب والعجم ، للحضري والبدوي ، للناس كافة .

(١) رواه أحمد (١٨٥١) ، وقال محققوه : إسناده صحيح على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين ، غير زياد بن لحيصين فمن رجال مسلم ، والنسائي (٣٠٥٧) ، وابن ماجه (٣٠٢٩) ، كلاهما في المناسك ، عن ابن عباس .

(٢) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠) ، وأحمد (٣٦٥٥) ، وأبو داود في السنة (٤٦٠٨) ، عن ابن مسعود .
(٣) انظر : ما ذكرناه في كتابنا (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف) تحت عنوان : العيوب والآفات الملازمة للغلو في الدين .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في النكاح (٥٠٦٣) ، ومسلم في النكاح (١٤٠١) ، كما رواه أحمد في (١٣٥٣٤) ، والنسائي في النكاح (٣٢١٧) ، عن أنس بن مالك .

مثل هذه الرسالة لا بد أن يكون فيها من الفسحة والسعة ما يجعل الناس يستطيعون أن يقوموا بأعمال دنياهم بجوار أعمال دينهم ، فيعمل الإنسان لدنياه كأنه يعيش أبداً ، ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً ، ﴿ وَاتَّبِعْ فِيمَا أَتَىكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (القصص: ٧٧) .

هكذا جاء رسول الله ﷺ ، يُعلِّم الناس التوسط والاعتدال ، والوقوف عند حدود الله حتى لا يَغْلُوا ولا يَقْصُرُوا ، فإن الغلو والتقصير مفسدان للدين ، مفسدان للحياة ، مفسدان لكل أمر . فلا بد أن يقف الناس عند المنهج الوسط ، عند حدود الله ، أن يلتزموا ما شرع الله ، ولا يزدوا ولا ينقصوا .

ابتداع في الدين وجمود في الدنيا !!

أما أن يتزَيَّد الناس ، وأما أن ينقصوا ، فمعنى هذا أن يضع الدين بين الناس ، ولا يبقى منه شيء . لقد أباح الله للناس أن يتدعوا ويبتكروا ويخترعوا في شئون الدنيا لا في شئون الدين . في شئون الدين وقوف والتزام ، وفي شئون الدنيا ابتداع واختراع^(١) . . . ولكن للأسف ، ما حدث للمسلمين أنهم جمدوا في شئون الدنيا ، ووقفوا كالثور في الرحى ، يدور ويدور ، والمكان الذي انتهى إليه هو المكان الذي ابتدأ منه . . . وأصبحوا عالة على غيرهم في العلم والصناعة والتقدم ، هكذا جمدوا وتخلفوا ووقفوا في شئون الدنيا ، بينما - للأسف - ابتدعوا في شئون الدين ، ابتدعوا بدعاً ما أنزل الله بها من سلطان . . . شرعوا لأنفسهم عبادات وأذكاراً وأوراداً وصلوات وصيغاً ما شرعها الله ولا رسوله ، وزادوا في الدين أشياء لم يشرعها الله ورسوله ، وجاءوا في شئون الأولياء بتقديس وتعظيم وتبجيل لم يشرعه الله ورسوله ، وصنعوا بالقبور أشياء لم يشرعها الله ورسوله ، ولم يقفوا في هذه الأمور عند

(١) راجع ما ذكرناه عن ضرورة الاتباع في الدين والابتداع في أمور الدنيا في كتابنا : (من أجل صحوة راشدة) ، وكتابنا : (بينات الحل الإسلامي) ، طبعة مكتبة وهبة ، القاهرة .

ما أمر الله ورسوله . بل ابتدعوا أموراً كثيرة في شرع الله ما أنزل بها من سلطان ، ولا قام عليها برهان .

أصبحنا الآن نرى في دنيا المسلمين بدعاً ومحدثات تريد أن تزحف على هذا الدين ، فتقلعه من أصله ، وتهدمه من أساسه ، فلا يبقى لنا شرع ، لا في شئوننا الشخصية ، ولا في شئوننا الاجتماعية ، ولا في شئوننا الاقتصادية ، ولا في شئوننا السياسية ، كل هذا تزحف عليه بدع ، أفكار ونظم وتشريعات مبتدعة مستوردة ، من هنا وهناك ، من الشرق والغرب ، لتبعد شرع الله أن يحكم المسلمين ، وأن يحكم به المسلمون . ولا يمكن أن يداوي داء المسلمين ، ويعالج مشكلاتهم ، ويحل عقد حياتهم ، إلا أن يقفوا عند حدود شرع الله ، وأن يرجعوا إلى أمر الله ، وأن يرفضوا كل شيء يأتيهم من هنا وهناك ، ما دام مغايراً لشرعهم ، مضاداً لتعاليم دينهم ، عليهم أن يقولوا لمن يعمل على خلاف دينه وشريعته وعقيدته الإسلامية : إن عملك هذا مردود عليك . . . هذا الذي تستورده عمل ليس عليه عمل رسول الله ﷺ ، فهو مردود عليك !

الوقوف عند شرع الله منجاة :

إن الذي ينجي المسلمين من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ، هو هذا ، أن يقفوا عند شرع الله ، ولا يتعدوا حدود الله ، وأن يعضوا على هذا بالنواجذ ، ولا يفرطوا فيه قيد شبر ، أو قيد أنملة . . . فإن النبي ﷺ ، كما روى العرياض بن سارية قال : وعظنا رسول الله ﷺ ، موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودّع ، فأوصنا . فقال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن كان عبداً حبشياً ، وإنه من يعش منكم بعدي يرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وإن كل بدعة ضلالة »^(١).

(١) سيأتي تخريجه وشرحه في الدرس الثاني عشر ص ١٥١ .

إنَّ بعض الصحابة قد رأى بعض الاختلاف فأنكره ، وقال لهم : إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر ، كنا نعتها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات^(١) . ذلك أنهم في عهد الرسول ﷺ كانوا ينظرون إلى الأشياء بمنظارٍ مُعظم فترى الشيء الصغير يظنونه كبيراً ، لفرط حساسيتهم الروحية ، ولسموهم بأنفسهم ، وتحليقهم في أفق عال ، فلما رأوا بعض الهنات بعد رسول الله ، قالوا : كنا نعد هذا من الموبقات على عهد النبي ﷺ ، حتى إن لبيد بن ربيعة كان يُنشد في عهده ، بعد عهد النبي :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرِبِ^(٢)

فلما عاشت السيدة عائشة بعده ، بخمسين سنة كانت تنشد هذا البيت وتقول : رحم الله لبيدا ، كيف لو عاش إلى زمننا هذا؟ ولما عاش بعدها بسنين ابن أختها عروة بن الزبير ، كان ينشد هذا البيت ويقول : يرحم الله لبيدا ، ويرحم عائشة ، كيف لو عاشا إلى زماننا هذا^(٣) ؟ فما بالكم بنا نحن ؟! إننا نقول : يرحم الله لبيدا ، ويرحم الله عائشة ، ويرحم الله عروة ، ويرحم الله ثلاثة عشر قرناً من المسلمين مضوا ، كيف لو عاشوا إلى زماننا هذا ؟ ! كان أقل ما يقولون أن ينشدوا قول القائل :

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود
إن دام هذا ولم تُحدث له غير لم يُكْ مِيتٌ ولم يُفرح بمولود

(١) رواه البخاري في الرقائق (٦٤٩٢) ، وأحمد (١٢٦٠٤) ، عن أنس .

(٢) وهو بيت من قصيدة يرثي بها أخاه أربد . والأكناف : الجوانب والنواحي ، والخلف والخلف : ما جاء من بعد . يقال : هو خلف سوء من أبيه بتسكين اللام وخلف صدق من أبيه بتحريكها إذا قام مقامه .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الأدب (٢٦٥٥٥) ، وعبد الرزاق (١١ : ٢٤٦) ، والحاتر بن أبي أسامة في بغية الباحث (٨٩٨) ، وقال البوصيري في « إتحاف الخيرة المهرة » ٧ : ٥٣٤ ، « إسناده رواه ثقات » . ويروى هذا الحديث مسلسلاً بـ (يرحم الله فلاناً كيف لو أدرك زماننا هذا؟) . وقد رواه السيوطي بسنده في « جياد المسلسلات » في الحديث الثالث والعشرين . ينظر ص ٢٥٧-٢٦٥ بتحقيق الشيخ مجد على .

إنه - يا أيها المسلمون - لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، ولم يصلح أولها إلا بهذا الإسلام العظيم ، بالوقوف عند كتاب الله ، وعند هدي رسول الله ، وبمطاردة كل بدعة وافدة ، وكل ضلالة مستوردة ، وكل دخيل على عقيدة ودين هذه الأمة ، يُفسد عليها عقائدها ، ويُفسد عليها شرعها ، ويفسد عليها حياتها ، ويُبديل أمنها خوفا ، ووحدتها فُرقة ، وطمأنيتها قلقا واضطرابا .

لا ينجي هذه الأمة من بلاء الدنيا ومن عذاب الله في الآخرة ، إلا أن تقف عند حدود الله ، وأن نردَّ كل مستحدث وكل بدعة وكل ضلالة . والله المستعان ، وهو ولي التوفيق .

* * *